التبرج

بقلم

نعمت صدقي
حرم الدكتور محمد رضا

دار الاعتصام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل لنا رسولا كريما وأنزل عليه شرعا حكيما وهدانا اليه صراطا مستقيما .

لم ينل كتاب اسلامى فى مصر او فى العالم الاسلامى ما ناله هـذا الكتاب (التبرج) من الاعجاب والذيوع والانتشار فى شتى أنحـاء العـالم الاسـلامى شرقا وغربا . وطبع فى الأقطار الاسلاميـة عـدة مرات وقد اشتد الطلب عليـه هـذه الايام بعـد نفـاده من السوق ، وبعد الحـاح منا استقر رأى السيدة الجليلة المؤلفة على الطبع والبيع بسعر التكلفة قربة منها الى الله عز وجل ، نسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناتها يوم القيامة .

ورسالة التبرج هذه هى أعظم هدية تحصل عليها السيدة والفتاة المسلمة . وكان بودى أن أذكر شيئا عن علم السيدة الجليـلة وجهـادها فى نصر الحـق والدفاع عنه وسعة ادراكها للقرآن والسنة ، حتى أصبح القرآن هو المهيمن على حياتها وسلوكها ، ولكنها للاسف لم توافق .

ولقد سبقنى فى الاشادة بفضلها وعلمها المرحوم الشيخ عبد الرحمن الوكيل رئيس جماعة أنصار السنة

المحمدية فى مقدمة كتابها (نعمة القرآن) و (من تربية القــرآن) ٠

فالى الذين استمسكوا بالحق والدين نقــدم هذه الرسالة القيمة نشد بها عضدهم ونقوى من أزرهم ليستمروا على ما هم عليــه داعين غيرهم الى حظيرة الايمان الصحيح ٠

(وما اسالكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين) ٠ الشعراء : ١٠٩ ٠

والى الذين تنكبوا الصراط المستقيم ، وانساقوا وراء الحيارى ممن غرتهم المدنية الزائفة فتركوا مدنية الاسلام الطاهرة وانساقوا وراء أعداء الاسلام من اليهود وغيرهم يقلدونهم تقليدا اعمى فى فوضى الملابس حتى اصبح الانسان الحر ينفر وتشمئز نفسه مما تراه عيناه من عرى واباحية ٠

واصبحنا لا نفرق بين فاطمة وراشيل فى مظهرهما ولبسهما الفاضح ٠ الى الذين جعلوا الجبن والخور وكتمان الحق شرعتهم نقدم هذه الرسالة نشهد بها الله على ضعف يقينهم ونقص ايمانهم ٠

بالله وحــده نحتمى (ان اريد الا الاصـــلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) ٠ هود : ٨٨

(اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون)

سعد خميس

مقدمة التبرج

لقد آلمني أشد الألم ما بلغت اليه المرأة المصرية من المهانة والازراء بنفسها الى الحد الذى تعرض به جسمها وأنوثتها هــذا العرض المخجل فى الشوارع والمجامع العــامة والشواطىء . ورأيت أن المجتمع بذكوره واناثه مغض عن ذلك الفساد ، بل وراض به ، ومغتبط له ومستمتع به ، غير آبه لما يجره ويهوى به فى هوة الضلال والكفر بالله وكتابه . وان من وراء ذلك لابد طامة كبرى ستحيق بهــذا المجتمع ، لن ينجو منها الا الذين ينهون عن السوء ، ويصرخون فى أولئك الهاوين الغافلين لعلهم يفيقون ويرجعون .

فأمسكت قلمى الضعيف لأحاول أن أنهى عن السوء خوفا وطمعا ، وأن أدعو الى الله ما استطعت الى ذلك سبيلا .

وما أن استعرضت فى مخيلتى شتى الصــــور لتبرج المرأة وتبلد الرجل ، وتجرد الاثنين من الحيــاء والعفاف فى هــذا العصر المشئوم حتى انفجر بركان غضبى وسخطى لهول ما رأيت ، واندلع لهيبه وقذف على القرطاس بحمم تحجرت غلظة وقسوة .

فنظرت الى ما انهـــال امامى من كلمات قاسية والفاظ نابية ، ومعان مكشوفة عارية ، فجال بخاطرى أن أخفف من قسوة هذه الكلمات وحدتها ، وأن ألبس هذه المعانى العارية ثوبا يستر بعض صراحتها . لكنى عدت أراجع دراسة وفحص هذا المجتمع الفارق فى لجج الغفــلة والهــوى ، السابح فى بحر اللذات المحرمة على شــواطىء الاسكندرية وغيرها ، فاذا بى أعود مشمئزة مقتنعة اشد الاقتناع أنه لا ينبغى أن استر كلامى العارى الى من تجرد من ثوب الحياء فلم يستر جسمه العارى . وألا ابالى بسخرية فاسق أو استهزاء من اتخذ آيات الله هزوا ، أو استنكار من لا يستنكر المنكر . ذلك لانى أعتقد أن الجهالة والوقاحة لا بد أن تقابلا بالشد والصراحة ، ولأن الذى لا يستحيى لا ينبغى أن يستحيا منه ، وليس بعد هذا التبرج وقاحة وجهالة وعدم حياء من الله ومن الناس . وان المستغرق فى نوم عميق اذا لم يفق بلمسة خفيفة ليتنبه ويتقى الخطر الذى سيحيق به ، يجب أن يهز هزة عنيفة ، اذا كان هناك شفقة به وعطف عليه . بل يجب أن يوكز ويلكم ان لم يستيقظ من الهزات ، وتمادى فى نوم غفلته .

وعجب الا يخجل المسىء من اساءته ، ثم يخجل ويشمئز من وصفها . فكيف لا نتالم من قبيح ناتيه ونراه ، ونتألم اذا كتبنــاه وقرأناه ؟ فكيف نستنكر كلمات عارية ولا نستنكر عورات عارية ؟ أيكون التخيل اظهر من الواقع ، والخيال أوضح من الحقيقة ذاتها؟. وقد قيل : ((ليس الخبر كالعيان)) واعجبا ، استحيى أن أقول للسارق : ((ايها اللص)) وهو لا يستحيى

أن يسرق ، ويغضب من وصفه باللصوصية ؟ فمن منا أولى بالخجل والحياء ؟ .

واذا كان الوعظ والتحذير ووصف تبرج النســاء وتهتكهن وما يسمعن من مستهجن القــول وبذيئــه من الكلاب والذئاب فى الشوارع تشمئز منه النفوس ، فكيف بالعمل نفسه !! .

أيها الناس ، ان كانت الحقيقة مؤلمة جارحة ، فهل يليق بنا أن نتغاضى ونتعامى عنها ، مهما كانت قاسية جارحة ، لئــلا نتألم ؟ أم يجب أن نواجهها ونخضع لحكمها ونحتمل قسوتها لنرعوى عما يضرنا ونتهذب ..

هل من الحكمة والعقل الا نشرب الدواء لمرارته ، أو أن نترك الصديد فى الدمل ولا ننظفه مخافة أن يؤلمنا ، والا نمس الجرح ولا نعالجه كيلا نشعر بألمه ؟ .

كلا أيها السادة : بل ينبغى أن نطعن هذا الدمل بالمبضع بشدة لننظفه من الصديد ، وأن نكوى الجرح لنطهــره اذا لزم الأمر . يجب أن نتواصى بالصبر . وأن نحاول أن ندخل الحق فى القلوب بكل ما نستطيع ، وبأية طريقة ، وبكل لهجة . فالغاية تبرر الوسيلة ، وليس بعــد النصح والارشاد غاية مقدسة يامر الله سبحانه بها ورسوله ، وتدعو اليها الشفقة الانسانية الكريمة .

أيهــا الناس : انكم ترون المنــكرات تحيق بكم آثامها وتسكتون حيــاء من الفاسقين . وترون الشر

تتأجج ناره ويرميكم بشروره وتغضون أعينكم عنـــه ، فأين أنتم ممن قال الله فيهم : ((كنتم خير أمة أخرجت للنـــاس تأمرون بالمعروف ، وتنهـــون عن المنـــكر ، وتؤمنون بالله)) (آل عمران : ١١٠) أما ينبغى أن تكونوا من المفلحين الذين يأتمرون بقوله تعالى : ((ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويامرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون)) (آل عمران : ١٠٤) .

أيها المسلمون : انكم تتحمسون وتثورون من أجل حطـــام الدنيـــا وجزء من الأرض انتهكت حرمتـــه ، ولا تتحمسون ولا تثورون من أجـــل الدين أو الشرف أو العرض الذى ديست كرامته . فايهما أهم وأقدس وأيهما أعز وأنفس ؟ ! نرى منـــكم فى الهين البسيط الحماسة والتفانى ، ولا نرى منكم نحو الأهم الخطير الا التهاون والتوانى : تتقون وتخشون عدوا من العباد ، ولا تخشون ألد عدو فى نفوسكم اسمه الفساد ، يقتل النفـــوس ويستحيى الأجســـاد . فمن منهما العـــدو الأكبر ، ومن منهما الأخوف والأخطر ؟ الا فثوروا أيها المسلمون على من امتهن أوامر الاسلام ، وقاطعوا من خرج على الآداب والاحتشام ، وحاربوا هذا الداء الوبيل الذى يهتك ويفتك بالأعراض والأجسام . فقد انتشر بينكم وباء كوباء الكوليرا ، فكيف تسكتون ؟ كثرت ضحاياه وعمت عدواه وانتشرت الجثث الحية حواليكم ، فكيف لا تجزعون ؟ بادروا الى انقـــاذ انفسكم واهليكم من هـــذا الوباء الفتـــاك ، وقوهم وعالجوهم بآداب وشرائع الاسلام لينجوا من شر الهلاك .

* * *

ولقد من الله تعـالى على بالشفاء من هـذا الوباء الذى كانت قد سرت الى من البيئة والغفـلة عدواه ، فداواني منه ربى سبحانه بمرض اليم فى بدنى ، أعاد الصحة والعافية الى روحى وقلبى فان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ((اذا أراد الله لعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة)) .

ومرضت مرضا شديدا بعد خلع ضرس ، قاسيت منه آلاما مبرحة حرمتنى طعم النوم والأكل شـهرا كاملا ، اذ لم يكن طعن الألم يكف لحظة ليلا أو نهارا .

وزاد الورم حتى كاد خدى ينفجر ، وامتد الى عنقى ورأسى وأغلق جفن عينى ، فحار فى أمرى الجراحون والأطباء ، وعجز الطب وعز الدواء ، وقطع الأمل بتاتا من الشفاء .

واذا بيد الله الكريمة تمتد وتمسح المرض والألم ، وتمحو على مهل الجرح وتصرف الورم ، فوقف الاطباء مدهوشين من هذه المفاجاة المذهلة ، وقالوا خاشعين : حقا ان الله القدير الرحيم ، يحيى العظام وهى رميم .. فعاينت تفـاهة الخلق ، وعجـز من ادعى العـلم والسلطان . وأدركت أن الخالق ، سبحانه أبر وأرحم بعبده من كل انسان .

وفى أثناء مرضى عادتنى سيدة وقالت لى مجاملة : ((انك لا تستحقين كل هـذا العذاب . أنت السيدة المؤمنة المصلية الحاجة لبيت الله الحرام . فماذا اقترفت

من الآثام ، حتى يعاقبك الله بهذه الآلام ؟)) فصرخت قائلة : ((لا تقولى ذلك فان الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون .. انى آثمة أستحق هذا العقـاب وزيادة ، فان هـذا الفـم الذى أدبه الله بالمرض والألم كان يصـبغ بالأحمـر ، وكان لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، وهذا الوجه الوارم كان يتجمل بالمساحيق . وهذا الجسم الطريح كان يتبرج بالثوب الأنيق . وهذه الرأس المتألمة المتأججة بنـار الحمى كانت لا تحجب بالخمار كما أمر الله ، وهى الآن تحجب قهرا باللفائف الطبية تحيط بها كالخمار تماما . لم أختمر بخمار الاحتشام ، فخمرنى الله بخمار الآلام ، جملت فمى ووجهى بالأصباغ والأدهان ، فصفعهما الله صفعة العذاب والهوان)) .

أجابتنى السيدة قائلة : ((انك لم تفعلى الا ما يفعله غيرك . بل وأقل مما يفعله غيرك . فكل النساء يتبرجن ويتجملن أكثر منك . وها هن أولاء يرتعن فى بحبوحة الصحة ويرفلن فى حلل السعادة)) . فقلت : ((هذا فضل ربى على ، وحبـه لى ورحمته بى ، فان الله اذا أحب عبدا ابتلاه ، وطهره بعذابه ورباه ثم اذا أراد ساق له العافية ونجاه ففاز بجزاء الصبر ، وحظى بفضيلة الشكر ، وسعد بالتوبة والطهر . فشكرا لله على هذا الدرس النافع وهذا الألم الشـافى الناجح ، وهذا العقاب المؤدب الرادع ، وهذا المرض المهـذب اللاذع . ان الله سبحانه يأمرنى بعمله ، عندما رآنى لم أأتمر بقوله ، فكيف لا أشكره على هذه العناية ، وكيف لا أطيع من يرعانى هذه الرعاية ؟)) .

وهكذا شفيت من مرضي ضعيفة الجسم ، قوية الارادة ، ضعيفة الهوى قوية الصبر والجلادة : وفهمت ما قاله الله لى بهذا المرض وما سكبه فى قلبى بلا ألفاظ ، وما صوره لعينى فرآه عقلى جليا واضحا .

فهمت كيف يجب أن يحاط رأسى ووجهى بالخمار كما مثله لى الله ، وأن يدعو فمى ولسانى اليه شكرا وخوفا وطمعا . فكنت بعد مرضي غير ما كنت قبله ، وكان أعظم نعمة على جعلتنى أقهــر هوى نفسى ، وصيرت يومى أغنى وأتقى من أمسى .

ولم تقتصر هذه النعمة على وحدى ، بل عمت بيتى وانتشرت من جهلى . وأنقذت بناتى وكثيرا من معارفى وأهلى .

والحمد لله على أنى تبت الى الله من قريب ، ولم أصر على ما فعلت وأنا أعلم ، واحتشمت قبل فوات الوقت ، لا كما تفعــل كل النســاء اللاتى يحتشمن ويختمرن فى وقت لا جناح عليهن فيه أن يضعن ثيابهن، فلا يكون تركهن المعصية الا عن عجز ، لا عن توبة صادقة . ومنذ ذلك اليــوم عزمت على أن أحارب الفسق ، وأن أجاهد فى سبيل الله بلسانى وقلمى ، وكرست لذلك كل ما أستطيع من قوتى ووقتى وفهمى .

ونظرت حولى . ويا لهول ما رأيت !! رأيت السواد الأعظم من الناس مستغرقا فى نوم عميق ، مهما ابتلاه ربه وألهبه بسوط عذاب وضيق ، لا يفهم ما أراده بذلك

فلا يرعوى ولا يفيق ، كأنهم غير مسئولين عن ذنوبهم ، أو كأن ما يهلكهم الا الدهر وليس لله يد فيما حل بهم .
فلو كانوا يفهمون حكمة الله فى الابتلاء لانتفعوا بنعمته .
ولو كانوا يشعرون بحبه وخشيته لما استهانوا بنقمته .
ولو كانوا يؤمنون به لما اجترءوا على عداوته ؟ .

فاحذر أيها العاقل الغفلة عن آثامك ، وكلما ابتلاك ربك فنقب عما أغضبه واستوجب عقابه ، لجنى ثمرة الابتلاء توبة وتهذيبا . واجتهـــد أن تتحلى بالفضائل ، وأن تتجرد من الرذائل . فاذا أصابك الله بمحنة لم تكن لك مجرد عقاب ، بل تغنم بها عظيم الثواب ، ولم تخسر بعصيانك ثمرة العذاب فاياك ان تحول الأجر الى قصاص وزجـــر (أن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) . ق : ٣٧ .

واننى لأسأل ربى ـــ الذى من أجل ابتغاء مرضاته وحده كتبت ، ومن أجل وجهه الكريم وحده جاهدت ـــ أن ينفع بهذا الكلام خلقه وعباده ، وأن يجزينى عليه ما هو له أهل من الفضل والاحسان ، انه عليم بعباده ، رؤوف رحيم ، وصلى الله على نبيه وسلم أفضل صلاة وأزكى تسليم .

* * *

التبرج

التبرج هو اظهار الجمال ، وابراز محاسن الوجه والجسم ومفاتنهما أو كما يقول البخارى رضى الله عنه ((**التبرج أن تخرج المرأة محاسنها**)) .

وحفظا للمجتمع من ضرر التبرج ، وصيانة لجسوم النساء من التهتك ولحياتهن وعفافهن من الفساد وابعادا لنفوس الرجال من الاغراء فالتدهور ، نهى الله العليم الحكيم النساء عن التبرج وهو سبحانه الخبير بضعف الانسان وطيش الشباب ، فاسمعن أيتها المسلمات الى أوامر الله لكن ان كنتن حقا من المؤمنات : (**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو اخوانهن أو بنى اخوانهن ، أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**) النور : ٣٠ .

اعلمن أن الخمار فى قوله : **وليضربن بخمرهن على**

جيوبهن » هو ما يغطى الرأس ، ســواء كان (طرحة) أو (اشـــارب) . وان (الجيب) هو فتحــة الصــدر اى (الديكولتيه) فأعرفن ذلك ولا تغافلن عن أن الله تعالى يأمر كل مؤمنة بأن تغطى صدرها وحيدها بالخمار ، لا رأسها فحسب . اذ يقول : « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » . وهذا صريح جدا فى وجوب الخمار الساتر لرأس المــرأة وصدرها . اذن فمن خلعته فكشفت عن رأسها أو صدرها فانها لم تحترم أمر الله تعالى ، فتصبح بذلك من العاصيات المستهترات بغضبه وعقابه .

تنبهن أيتها المسلمات الى قوله تعالى : « **ولا يبــدين زينتهن** » اذ أنه لم يعين زينة فى اى عضو او ثوب . فان ذلك يدل صراحة على ان كل عضو قد يكون فيــه زينة وفتنة . وان المؤمنة التقية هى التى تقدر ذلك خوفا من عقاب الله وغضبه .

والزينة هى كل ما يضفى حسنا وبهجة . (لسان العرب) ولا يقتصر ذلك على ما تتحلى به المرأة من الحلى والثيــاب والجواهر ، وما تتجمــل به من الأصـبـاغ والأدهان . بل ان الزينة أكبر الزينة ما خلق الله فى جسمها من مفاتن ، وما فطره عليه من تناسق الأعضاء وجمال تناسبها .

ان الله قد أنزل هذه الآية وهــو يعلم ان من النساء من تختمر للزينة والفتنة ، وتتجمل بالخمار لأنها تديره على راسها مائلا ذات اليمين أو ذات الشمال ، وتحليه ببعض الحلية ، و بارسال خصلات من شعرها اللامع على جبينها او تجعله على شكل تاج يزيد فى جمال وجهها ، وحتى ليكون الخمار نفسه زينة للناظرين عكس ما اراد الله من جعله ساترا

لزينتها وفتنتها وزعمت أنها أطاعت الله واختمرت كما أمر . الا فلتعلم هذه المخادعة أن الله عليم بما فى نفسها من شهوة التجمل والتبرج ، وانه لا يخفى عليه ما فى قلبها من الاحتيال والمخادعة . فرغبتها فى أن تبدو جميلة ، وأن تحوز اعجاب من يراها ولو بالخمار ، تبرج يمقته الله ، ومعصية يعاقب عليها ولذلك عقب قوله : ((**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**)) بقوله : ((**ولا يبدين زينتهن**)) أى أن الخمار وحده لا يكفى مع التجميل والتزين . ثم تدبرن قوله : ((**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**)) تعلمن أنه تعالى ينهى عن استلفات النظر الى الزينة ، وان كانت مستورة . فالثوب الفضفاض الذى لا يبدى جمال الجسم يبرز منه شكل الأعضاء باهتزازها فى الحركة العنيفة والمشية أو الالتواءة الخليعة . كما قد يسمع عند الحركة رنين بعض الحلى المستترة .

ثم تدبرن قوله تعالى لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وهن المؤمنات القانتات العابدات ((**فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض**)) الأحزاب : ٣٢ . تعلمن أن التبرج يكون حتى فى الصوت بتمارضه ولينه ودلاله .

وهاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**اذا خرجت المرأة متعطرة فانها زانية**)) وهو يثبت أن التبرج كذلك يكون بتضوع ريحها ، وتعمد لفت النظر اليها بطيب العطر .

وعن أم سلمة : « أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق . فأعرض عنها ، وقال : ((**يا أسماء : أن المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا . وأشار الى وجهه وكفيه**)) .

أباح الله للمرأة أن تكشف عن وجهها وكفيها ولكن بلا أى زينة . فاذا هى زينت وجهها بالأصباغ أو طلت جفنيها وشفتيها وجب أن تستر زينة وجهها بقناع . واذا هى طلت كفيها أو أظافرها وجب أن تستر زينة يديها بقفاز ، لأن الله تعالى يقول : ((**ولا يبدين زينتهن**)) فتدبروا يا أولى الألباب آيات الله وحديث رسوله ، واعقلوا ما فيها من حكمة وأدب واعرفوا هذا الاحتياط الشديد ، وهذا الحذر فى الابتعاد عما يدعو الى الزلل ، فما أحكم هذا الحرص الذى يأمر المرأة بألا تمتع عينا غير عين زوجها بجمالها ، ولا أذنا غير أذنه بحلو حديثها ولا أنفا غير أنفه بشذا عبيرها ، ولا خيالا الا خياله بما تخفيه من زينتها وحليها ، لتكون بذلك فى حصن حصين ، وسياج من الصون متين أمين ، بعيدة عن أنظار الفجرة الفاسقين .

فاذا رجع الناس الى هذا الصراط المستقيم ، واذا تفهموا الحكمة فى أوامر العليم الحكيم ، وجدوا أنه تعالى لم ينه عن شىء الا لما فيه عليهم من ضرر جسيم ، ولا أمر بشىء الا وكان فيه لهم الخير العظيم ، وانه أراد أن يحفظنا ويربينا بشرائعه وآياته الكريمة .

فزينة المرأة وظهور جمالها بين الرجال غواية واغراء ، وشرارة تضرم ما كمن وخمد فى نفوسهم من شهوة حيوانية كما أن رؤية الطعام وشم رائحته يوقظان الشهية ، والنفس لا تشتهى الا ما تقدمه العين لها ، ولذلك أمر الله تعالى الرجال أن يغضوا من أبصارهم وأتبعها بقوله : ((**ويحفظوا فروجهم**)) وكذلك أمر النساء بأن يغضضن من أبصارهن وأتبعها بقوله : ((**ويحفظن فروجهن**)) .

ومعنى ذلك أن النظر بريد الزنى .

فما بال النـــاس قد غفلوا وخادعوا انفسهم ، فزعموا أن التبرج قد أصبح أمرا عاديا مألوفا لا يؤثر فى الأخلاق ، ولا يثير دفائن الشهوات ، ولا يوقد نار المحرم من اللذات . أما انهم لو عقلوا لعلموا أن هذا الزعم باطل ومحال ولا شك فانه لو كان الأمر كذلك لصدق فى حالة الزوج مع زوجته ، ولانقلبت المودة بينهم عداوة ، والشوق نفورا . ولأصبح كل من الزوجين حريصا على أن يغير زوجه بعد حين من الزمن .

فهل هذا هو الواقع ؟ .

كلا ... فان الرجولة هى الرجولة ، والانوثة هى الانوثة وان الجاذبية بين الرجل والمرأة هى الجاذبية الفطرية ، لا تتغير ولن تتغير مدى الدهر . وهى شىء يجرى فى عروقهما ، وينبه فى كل من الجنسين ميوله وغرائزه الطبيعيـــة . فان الدم يحمل الافرازات الهرمونية من الغدد الصماء المختلفة ، فتؤثر على المخ والأعصاب وغيرها من الأعضاء ، بل ان كل جزء من كل جسم يتميز عما يشبهه فى الجنس الآخـــر . ولذلك تظهر صفات الأنوثة فى المرأة فى تركيب جسمها كله وفى شكلها وفى أخلاقها وأفكارها وميولها . كما تظهر مميزات الذكورة فى الرجل فى بدنه وهيئته وصوته وأعماله وميوله . وهذه قواعد فطرية طبيعية لم تتغير من يوم خلق الله الانسان ولن تتغير حتى تقوم الساعة ((**الم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**)) . القيامة ٣٧ : ٣٩ .

((**فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله**))
الروم : ٣٠ .

((**فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا**))
فاطر : ٤٣ .

لقد حذر الله المؤمنين والمؤمنات مما يثير شهواتهم وشهواتهن فلم يشدد التحذير من الزنى فحسب ، بل مما يدعو الى الزنى ، فقال : ((**ولا تقربوا الزنى**)) الاسراء : ٣٢ ، يريد سبحانه وتعالى بذلك أن اجتناب عمل الفاحشة ليس هو كل ما يجب على المؤمن والمؤمنة ، بل ينبغى أن يبتعد كل منهما عما يقوده الى الزنى من متعة العين ولذة البصر او الأذن او اى حاسة من الحواس الأخرى . وانه والله الأمر حكيم ، لأن من يقترب من التيار الجارف لا بد غارق فيه ولا بد هالك مهما قويت ذراعاه ، ومهما بعدت باعه فى السباحة ومغالبة الأمواج . فالتيار الشديد يجذب اليه الأجسام الطافية التى تحوم حوله وتتعرض له فيجرفها ، وما هى الا لحظات ومحاولة فاشلة حتى يبتلعها .

وما أحكم واجمل قول فضيلة الشيخ محمد الغزالى : اننا اذا اتفقنا على أن السل مرض لم نختلف فى منع أسباب العدوى .

واذا اتفقنا على أن الزنى فاحشة لم نختلف فى منع ما يؤدى اليه من تقاليد التبرج والانطلاق .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**العين تزنى ، وزناها النظر**)) وقال أيضا : ((**ثلاث أعين لا تمسها النار** :

عين غضت عن محارم الله ، وعين حرست فى سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله)) وقال عيسى عليـــه السـلام : **((من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه)) .**

نفهم من ذلك أن تمتع النظر ضرب من الزنى ، وحظ عظيم من اللذة ، وجزء مهم من تمتع الرجل بالمرأة . لذلك فهو يمتد ويصبو الى الجميلة ، وينفر من الدميمة ، وهما فى الأنوثة سواء .

ولذة النظر متعة عظيمة للانسان . فكم أنفق النـــاس من النفقات الباهظة لتتمتع أنظارهم ، فزينوا البيوت والأسقف والجدران ، وأنشأوا الحدائق ونسقوها بأشجار وأزهـــار وأثثوا ديارهم بفاخر الرياش والأثاث الذى يلذ العين ويمتع البصر ، وهم لا يلمسون ، ولكنهم يتلذذون بأبصارهم ، فلذة العين تشترك فى كل لذة ، حتى فى لذة الاكل . ولذلك يقال : العين تأكل اكثر من الفم ، بل ان النظر الى الأكل الشهى يكفى وحـــده لبدء افراز العصارات الهاضمة فى المعـــدة . فاذا كانت العين تتلذذ بمنظر المأكل والفواكه الشهية اكثر مما يتلذذ الفم بطعمها ، فكيف بتلذذها فى التهام الجمال ، ولحم ذات الحسن والدلال . فينبغى للمسلم التقى أن يلجم عينيه بلجام الحياء والعفاف حتى ينجـــو من الزلل : فالشهـــوة لا تصحو الا اذا أيقظها ، ولا تنتبه الا اذا دعاها ، والمرأة المتبرجة شرارة للزناد ، فهى مجرمة تغوى بجمالها العباد ، ونكبة تنشر من حولها الفساد ، لأن كثيرا ممن يرونها فى سن الطيش ، تتحكم فيها رعونة الشباب ، تتضور نفوسهم جوعا عند رؤية لحمها كالذئاب . فيبحثون عما يشبع نهمهم ولو كان جيفة منتنة ، فيتهافتون عليها تهافت الذباب . فالويل لها من شـــيطان رجيم ، يأخـــذ الرجال الى نار الجحيم . فلو

احتشمت المراة واجتنبت التبرج والخلاعة فى كلامها ومشيتها لما انتشر هذا الفســاد والشر المستطير ، اذ من المحال ان تصــان الأعراض وكرامة الأسر الا بالاحتشـام والغض من البصر ، فكم من نظرة جرت الخراب والشقاء ، وفرقت بين الأزواج واشقت الأبناء . واصل البلاء كله نظرة كما قال الشــاعر :

نظـــرة فابتســامة فســلام
فكــلام فموعــد فلقـــاء

وقال آخر :

كل الحــوادث مبــداها من النظــر
ومعظم النــار من مستصغر الشرر
كم نظــرة فتكت فى قلب صاحبهـا
فتــك الســهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عــين يقلبهـــا
فى أعين العين موقوف على الخطــر
يسر مقلتــه مــا ضر مهجتــه
لا مرحبــا بسرور جــاء بالضرر

* * *

التبرج يزرى بالمراة :

كل امراة خرجت من خــدرها الى الطرقات عروســا قد اخذت زخرفها وازينت لسان حالهــا يقول : الا تنظرون

الى هــذا الجمال ؟ هل من راغب فى القرب والوصـــال ؟ انها تعرض جمالها فى أسواق الشوارع كما يعرض التـــاجر المتجول سلعة ، وكما يعرض بائع الحلوى ما عنده مزينا بالألوان الزاهية والأوراق اللامعة ليسترعى الأنظار ويغرى النفوس ويثير الشهية ، فتروج بضاعته ، ويكثر المشترون ويتهافت الطلاب والجياع النهمون .

كيف تقبـــل المراة الشريفـــة العفيفة عرض جمالهـــا فى السوق سلعة رخيصة تتداولها الأعين . وكيف يرضى لها حياؤها أن تكون مبعث اثارة شهوة فى نفس رجل يراها . بل وكيف تطيق الشـــعور بأنه يصبو اليها ويتمنـــاها ؟ انها لو فكرت فى ذلك الامر برهة لاحمرت خجلا ، ولسترت جمالها وزينتها عن الأعين الشرهة الوقحة .

وقد قال تعالى : ((**يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما**)) الأحزاب : ٥٩

يحوط الله المراة المؤمنة فى هذه الآية بهالة من الصون والكرامة ، وأن تكون فى اطار من الاجلال والاكبار . فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يلزم نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن . والجلباب : الثوب الواسع ، أى أن يسترن بثيابهن الواسعة ، ليعرفن بالحصانة والتقوى والعفاف ، فلا يؤذين بأعمال سافلة دنيئة ، ولا تنغص حياتهن بنظرات وقحة جريئة ، ولا توجه اليهن أقوال مهينة بذيئة .

فان المؤمنة التقية يجب أن يدل مظهرها على مخبرها وأن يبدو ايمانها وتقواها فى ملبسها . كما يبدو فى أقوالها

واعمالها . يجب أن يسطع الايمان فى كل تصرفاتها وأحوالها فتعرف أنها من أهل القرآن بتنفيذها أوامر القرآن ، فيحترمها المؤمنون ، ولا يؤذيها الفاسقون .

* * *

فبالله ماذا سترت نسـاء من يدعون الاسـلام الآن من زينتهن التى أمرن بسترها اذا كن هكذا فى الطـريق ، عاريات الأذرع والسيقان والصـدور ، باديات النهـود والأرداف ، والخصور ، مصبوغات الوجوه والعيون والثغور حاسرات الرؤوس مسترسـلات الشـعور . ماذا تركت الشريفـة لغيرها من فنون التبرج ، وماذا أبقت لنفسـها من ضروب الاحتشام ؟ انها لم تترك من ذلك ولم تبق شيئا . فبالله أيتها السيدة المحترمة أتستطيعين أن تفرقى ما بين الراقصـة الخليعـة الفـاجرة ، وبين السيدة الشريفـة الطـاهرة ؟.. لذلك تطارد الذئاب الشريفـة كغيرها !! اذ يظنونها صيدا وقنيصة فتسمع وترى ما يخجلها ويؤذيها ، لأنها تشبهت بمن لا كرامة ولا شرف لها ، ولم تتعزز وتتحصن بوقار الاحتشام . فضاعت عزتهـا وظنوها سلعة كبقيـة السلع ، وعرضت نفسها للمهانة والازدراء !!..

فيا حسرتى على النساء !! لقـد عقدت أيتها المسلمة احترامك عندما خلعت الخمار ، فخلعت معه الحياء والاحتشام والوقار . وارتديت ثوب الخلاعة فنظر اليك بعين الازدراء والاحتقار ، فياللفضيحة وياللخجل والعار .

والخمار شـعار التقوى والاسـلام ، الخمار برهان الحيـاء والاحتشام ، الخمار سياج الاجـلال والاحترام ،

الخمار يا سيدتى المسلمة أشرف اكليـل لجمالك ، وأعظم دليـل على أدبك وكمالك .

صونى أيتها الشريفة المؤمنة جسمك الطاهر من اعتداء الأعين الباغية وحصنيه بالاحتشام لتذودى عنه السهام العاتية فليست الشريفة الطاهرة من لا تسمح لرجل أن يتمتع ببدنها وأن يلامسه ، بل الطاهرة الحقة هى التى لا تسمح لعين أن تقع على جسمها الطاهر فتدنسه ، فان للعفاف والطهارة درجات كما أن للتهتك والعهارة درجات . والنفوس تتفاوت علوا على درجات طهارتهـا وعفتهـا ، ونزولا على دركات عهارتها وشراهتهـا . فهناك نفس عفيفة شريفة يصونها الحياء تتألم لنظرة جريئة فتختمر احتفاظا لهيبتها ، وتحتشم وتستتر حرصا على كرامتها واشفاقا من أن يكون جمالها مطمع الأنظار ، ومطرح أقذار الأفكار . وهناك نفس خبيثة غاوية ، مستهترة ، عابثة لاهية ، تنعم وتسعد بأن تعانقها ، وتداعب بدنها الأنظار ، تبتهج بأن تكون شـهوة النفوس والأبصار فتتبالغ فى استعراض جسمها واناقتهـا وتغالى فى التبرج والخلاعة طلبا للذتها . هذه هى نفسية المتبرجة ، التى تعتبر فى نظر المدنية الكاذبة امرأة راقية ولكن هل هى فى نظر الاسلام مسلمة تقية ؟؟ ألم تتدنس بأنظار الرجال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« العين تزنى وزناها النظر » .

ولو أن المتبرجة تأملت بعين بصيرتها ، ولو كان لها قلب يعى ، أوجدت أنها — باصطناعها هذا الجمال المزور ، ومبالغتها فى التزين — لن تكتسب فى الحقيقة جمالا ولا محاسن ، بل أنها تمسخ وجهها وتخفى ما حباها الله به من

الجمال الفطرى ، بقناع من الاصباغ الزاهية ، التى تختلف وتشذ عن الطبيعة ، ينبو عنها الذوق السليم وهى لا تأبه لذلك ولا تفطن لما صنعت لوجهها من التشويه والتقبيح فان الله تعالى لم يخلق جفونا زرقاء لامعة ، ولا سوداء قاتمة ، الا فى القردة والكلاب ، ولا شفاها حمراء قانية ، كأنها ولغت فى الدم المسفوح ، ولا خدودا مخضرمة متوهجة الاحمرار ، ولا حواجب هلالية لامعة تذكر بما يتخيلون ويصفون فى الاساطير من حواجب الشياطين . وأظافر مدببة حمراء كأنها مخالب حيوان كاسر مخضبة بدماء فريسته . فبالله هل هذا جمال أم دمامة وبشاعة .

وما أصدق قول الشاعر :

قل للجميلة أرسلت أظفارها
انى لخوف كنت أمضى هاربا
ان المخالب للوحوش تخالها
فمتى رأينا للظباء مخالبا
بالأمس أنت قصصت شعرك غيلة
ونقلت عن وضع الطبيعة حاجبا
وغدا نراك نقلت ثغرك للقفا
وأزحت أنفك رغم أنفك جانبا
من علم الحسناء أن جمالها
فى أن تخالف خلقها وتجانبا
ان الجمال من الطبيعة رسمه
ان شذ خط منه لم يك صائبا

فلم هذه المبالغة المشوهة للخلق الذى جعله الله فى

أحسن تقويم ، فكل شيء زاد عن حده انقلب الى ضده ، واتقان الجمال انما يكون بمحاكاة خلق الله سبحانه الذى أتقن كل شيء ، وأحسن كل شيء خلقه ، ولن يكون أحد احذق ولا أبدع منه تصويرا ولا أدق منه تجميلا ، ولا احسن منه تنسيقا . فهو الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

فالمصور البارع هو الذى يقلد خلق الله ، ويحاول أن يحاكى الطبيعة كاملة من كل نواحيها المتناسقة . فاذا بالغ او غير فى لون من الالوان ، أو وضع جزءا مكان جزء آخر افسد عمله .

فكم من سيدة شوهت جمالها بالمبالغة فى التجميل ، وكم من سيدة اظهرت عيوب وجهها بالاصباغ ، فزادت الدمامة وضوحا ، وهتكت عيوب جسمها بالملابس الضيقة القصيرة ، فاستلفتت الانظار اليها . وكم من عجوز متصابية تزينت وتجملت ، فصارت سخرية الناس ، وهى تظن أنها بفعلها هذا قد صغرت سنا ، ولا تدرى أنها فى الحقيقة صغرت عقلا ، وقلت احتراما .

ألا فاعلمن أيتها السيدات أن الاصباغ والزينة تزيد الدميمة دمامة وتزيد العجوز شيخوخة ، وان الجمال الحقيقى انما هو جمال النفس المهذبة النقية، يشع من العيون ويتدفق على الوجه ، فيكسوه جمالا . وجمال الحياء يتألق ، ويغمر الوجه نورا وبهاء ينفذ الى القلوب ، ويبهر الابصار ، فكم من وجه جميل يغشاه الخبث والوقاحة فتظلم بهجته . وكم من عيون جميلة الشكل ، يعلوها صدا الجهل والغباوة

او يتنابها مرض التبجح والوقاحة ، فيطمس بريقها ، ويطفىء نورها ويتحول جمالها قبحا . وكم من وجه دميم يزهو ويسطع بنور التقوى والعلم والادب . فكيف تفضلين أيتها المسلمة أن تكونى أنيقة خليعة فاتنة ، على أن تكونى محتشمة محترمة مؤمنة ؟ فكيف تقدمين جمال جسمك وهندامك ، على جمال نفسك واحتشامك ؟ كيف يهون عليك أن تخفى نور الايمان فى وجهك بغشاء من التزوير ، ونقاب من الكذب والتزييف ؟ كيف تستبدلين بجمال الحياء والخفر قناعا من الوقاحة ؟ أن المرأة التى تواجه الرجال متوقحة بأصباغها مستعرضة لزينتها ولحمها ، قد تجردت من ثوب الحياء ، وفقدت بذلك أكبر جاذبية فى جمالها وأجمل زينة لوجهها ، فجمال احمرار الحياء على وجه المرأة لا تجاريه الاصباغ ، وأن يد الانسان لتعجز عن أن تقلد جمالا فطره الله فى الروح، لا على الظاهر .

قال الاديب الفرنسى الشهير فيكتور هوجو : ((**ان اجمل فتاة هي التى لا تدرى بجمالها**)) .

فاذا كانت أجمل فتاة هى التى لا تدرى بجمالها ، كانت بلا ريب أقبح فتاة هى المفتونة المغرورة بجمالها ، الخليعة المخلوعة المفككة الاوصال والمفاصل ، التى تتلوى زهوا وعجبا ، وتتمطى اختيالا وكبرا ، ويبدو فى حركتها ومشيتها الطيش والتكلف ، وفى نظرتها التبجح والتعجرف ، وفى كلامها التدلل والتظرف ، فتفوق الدميمة دمامة ، مهما كانت جميلة فكيف بها لو كان جمالها طلاء موهوما . وحسنها مصطنعا تافها مزعوما !!

فهؤلاء الجاهلات المغـــرورات بنفـــوسهن ، الغافلات عن عيونهن ، يغضبن عليهن الله بتبرجهن ، فيظلمن أنفسهن فى الآخرة ، ويضحكن منهن النـــاس ، فيظلمن أنفسهن فى الدنيـــا .

نعـــم أليس من المضحكات المبكيـــات ، أن يرى العجوز السمـــراء الشمطاء تردم بالمسحوق الابيض حفـــر وأخاديد وجهها الذى أكل عليـــه الدهر وشرب فيصبـــح كالمستنقعـــات ، كتـــلا من الملح حولهـــا المـــاء الاســـن المختلط بالتراب ؟ وذات الشفتين الغليظتـــين ، والفـــم الذى تقع ساحته من مشارق الوجه الى مغاربه تحـــدد طوله وعـــرضه بالاصبـــاغ ، وتبرز اتســـاعه وضخامتـــه وتستلفت الانظار الى مساحته الشاسعة ؟! وذات الشعر القطط المنفوش ، تخرج حاسرة وهى تحمل فوق رأسها غابة عذراء كثة الادغال ، كثيفة الظلال ، تضـــل فى غياباتهـــا وظلماتها العيون !؟ والتى ترسم بالاصباغ حـــول عينيهـــا الجاحظتين ، وفوق جفنيها البارزتين كجفون الضفدع هالة سوداء أو زرقاء لامعة ، فتبرز عيونها بدهن تلك القبـــاب الشامخة . والتى تحسر ثوبها لتفـــزع الناس بساقيهـــا الوارمتين أو ساقيها النحيلتين اللتين تذكران بربات القبور والعظام النخرة !؟ والسمينة المترهلة التى تلبس الثـــوب الضيق اللاصق على جسمها المحدد لكل عضو من اعضائها الهائلة ، لتخيف الناس بجبالها الشاهقـــة ، ووهادهـــا ووديانها العميقة ؟!

* * *

تبرج المرأة يدل على جهلها :

فما أجهلك وأشقاك أيتها المرأة الطائشة ، التى تأتى المنكر لتزدرى وتستنكر ، والتى تقترف المعصية ، لتصير سخرية ، وما أصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**النساء ناقصات عقل ودين**)) فكلما نقص عقل المرأة زاد تبرجها ، وكلما زادت جهلا افرطت فى تزينها وتهتكها وفرطت فى جنب الحياء ، وتمثلت بنساء الجاهلية الأولى ، كما قال سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين : ((**ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى**)) الأحزاب : ٣٣ .

وما أحكم المثل الذى يقول : « الرأس الفارغ يحتاج الى الزينة ، أما الرأس المملوء بالعلم فانه لا يحتاج الى الزينة » لأن العلم يزينه ، وهو أعظم وأجمل زينة .

ولذلك نرى الأساتذة واهل الفن والعلم الصحيح يتبسطون فى لباسهم ، ولا يعنون باناقتهم وهندامهم ، لأن الانسان كلما عنى بعقله ، أهمل جسده ، وكلما اهتم باللب احتقر المظاهر الخارجية . فالمرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، لا ببرديه : **معطفه وفستانه** .

وقد قال الشاعر :

اقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وآية ان التبرج نتيجة الجهل والطيش وصغر العقل ان الطفل يعشق التبرج ويزدهى ويباهى بثيابه الجديدة ،

ويطيل النظر فى المرآة كما تفعل المتبرجة . ولكن الطفل لا يلبث أن ينسى جماله وزينته . وأما هى فتقضى حياتها فى المرآة ، وتحرص على ملازمتها فى كل لحظة من حياتها ، فتأخذها معها فى حقيبة يدها أينما ذهبت لتتمتع بالنظر الى جمالها ، ولتراقب أصباغ وجهها . فهى قائمة على قدم الاستعداد لتبادر الى اسعافه بالترميم ، مثابرة على فرائض التجميل ، تكرس له جل وقتها فى خضوع وخشوع ، لأنها تجد فيه متعة نفسها الضئيلة ولذة عقلها الصغير .

وانه ليشق على المراة الطائشة أن تستر جمالها المصطنع ، ويؤلمها اشد الألم الا تفتن الناس بمحاسنها واناقتها وتترقب كلمة الاستحسان من السفهاء ، فتطربها فرحا ، وترقص لها طربا . واعجب العجب أن تحذو حذوها وتعمل عملها مثقفة متنورة متخرجة فى الكليات ، حاملة لأعلى الشهادات ، فتتغافل عن أمر الله وتتبرا من الخمار وتبيح لنفسها ما حرم ربها ، مستهترة بغضبه ، متعمدة مصرة على اتباع هواها ((**ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين**)) القصص : ٥٠ .

فويل لهذه المتعلمة المتجاهلة التى لا تستطيع أن تعصى هواها ، وتستهين بأن تعصى خالقها ومولاها ، وتسمع آيات الله وتفهم أمره المؤكد بالاحتشام والاختمار ، ثم تصر على تبرجها مستكبرة ، كأنها لم تسمعها ((**ويل لكل أفاك أثيم ، يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم**)) الجاثية : ٧ — ٨ .

أو تظن هذه المتغافلة أن الله جعل اليها الاختيار فى شرائعه بما تهوى لها نفسها ؟ فتختار منها ما تشاء وتعصى

منها ما تشاء وكأنها فى سوق (خردوات) تنتقى منه ما يوافق هواها وتترك ما لا يوافقــه ، اذ تطيع بعض أوامر الكتاب وتعصى البعض الآخر . الم تسمع وعيــد الله لها ولأمثالها فى قوله تعالى : ((**أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعــل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا . ويوم القيامة يردون الى أشد العــذاب . وما الله بغــافل عما تعلمون**)) البقرة : ٨٥ .

ان الله لم يجعل الشرائع والأوامر تبعا لأهواء الناس ومزاجهم وهو القائل جل جلاله : ((**ولو اتبع الحق أهواءهم لفســدت السموات والأرض ومن فيهن**)) المؤمنون : ٧١ . وانه سبحانه لم يجعل لأحد من المؤمنين والمؤمنات أن يختار برايه وهواه ، والا كان عاصيا ضالا ضلالا مبينا ، اذ قال جل ذكره : ((**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من امرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**)) الأحزاب : ٣٦ .

فهــذه الظالمة لنفســها ــ التى عرفت الحق ، ورأت نوره فأغمضت عينيها ، وأشاحت بوجهها عن هذا النور ونأت عنه لتظل فى الظلام باختيارها ــ وقد غلبت شهوتها ارادتها ، وطغى هواها على نهاها . فنفوذ الهوى فى قلبها ، وقوة سلطانه أقوى من خشيتها لربها ، وضعيف ايمانها . ولذا جرؤت على معصية الله على علم . وتغافلت على أمره على فهم ، وسعت الى رضى الفجرة الفاسقين ، ولم تكترث لرضى رب العالمين . تلك التى ينطبق عليها قوله ؛ جل جلاله : ((**أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ؟ فمن يهديه من بعد الله ؟ ؟ أفلا تذكرون ؟**)) الجاثية : ٢٣ .

اعذار واهيـــة :

نعم ان التبرج هوى سيطر على النفوس ، واستعبد القلوب وأعمى بصائر النساء والرجال معا ، هوى خضع له صاغرا المتعلم المتنور ، كما خضع له الجاهل المتبلد . وخضع له المتدين ، كما خضع له الفاسق والملحد ... وانقاد له الجميع بلا تردد ولا تورع ولا تأمل ، بل فى امتثال واستسلام ونشــوة ولذة . أسكرتهم خمرته ، وسلبت نهاهم فتنته ، فتغاضـــوا عن تحريم الله له وأباحوه ، وانتحلوا المعـــاذير واختلقوا له المزايا ليبرروه .

١ ــ فمن قائلة أنه من الصغائر .
٢ ــ ومن قائله أنه عنوان المدنية .
٣ ــ ومن قائلة أنها لا تستطيع مخالفـــة غيرها . فتضع نفسها موضع السخرية والنقد .
٤ ــ ومن قائل أنه أقرب سبيـــل للتعجيـــل بزواج بنـــاته .
٥ ــ ومن النســـاء من ادعت أنهـــا تتجمـــل طاعة لزوجهـــا وحرصا على ارضـــائه ، وخوفا من انصرافه عنها الى غيرها
٦ ــ ومن ادعت أنهـــا صـــغيرة السن ولم يحن بعد وقت الاحتشام .
٧ ــ ومن ادعت أنها عجوز لا يعبأ بها أحـــد .
٨ ــ ومن ادعت أنها تبيح لنفسها الســـفور والصباغ لأنها دميمة ينفر الرجال من منظرها .

وهكذا خدع كل منهم نفسه ، وتغافل عن ذنبه ، وأصر على معصية الله وهو يعلم ليرضى هواه !! .

فالمراة المتعلمة اقدر النساء على الجـدل ولو بالباطل ينطبق عليها قول الله تعالى : ((**ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضـوا به الحق ، واتخـذوا آياتى وما انذروا هزوا**)) الكهف : ٥٦ .

فهى تجادل وتعارض وتحاور وتداور ، وتسمى تقوى الله جمودا وتطرفا وتعتبر الاحتشام والاختمار تزمتا كأنهـا لم تعرف الاسلام ، ولم تفهم القرآن . فان المسلمة المتعلمة المتنورة ترى أن من أوجب الواجبـات عليهـا أن تحـارب الفجور والعصـيان ، وأن تنهى عن المنـكر ، وأن تحـاول أن تنقذ نفسها وبنات جنسـها ووطنها ودينها من الخروج على آداب الاسلام ، وأن تدعو الى الله ربهـا بما وهبها من بلاغة اللسان وقوة المنطق ، وبراعة القلم ، شكرا له على ما آتاها من هذه النعم العظيمة . الا أن أولئك المتعلمات يعلمن ظاهرا من الحيـاة الدنيا ، وهن عن الآخرة غافلات ولذلك يرين الكبائر صغائر والمنكر معروفا . فتزعم المتدينات منهن أن التبرج من الصـغائر ، وأن حسناتها الكثيرة ــ من صلاة وصدقات وحج وصيام ــ ستمحو هذه الذنوب الصغيرة ! لأن الحسنات يذهبن السيئات .

الا فاعلمى أيتها المستهينة بأمر الله ، المستخفة بغضبه وبعقـابه .. اعلمى أن كل ما نهى الله عنـه فى القـرآن فهو من الكبائر خصوصا هذا التبرج الذى شدد الله فيه الوعيد والتحذير ، وشدد فيه الرسول كذلك أعظم التشديد ، فزعمك هذا باطل ووهم كاذب .

الا فتيقنى أن التبرج هادم لكل الحسنات ، بل وهادم

لحقيقة الاسلام . وهو اثم من اكبر الآثام .. ففكرى أيتها السيدة كم مرة اتيت هذا الأمر الكبير ، وكم اظهرت من عورة ، وكم هتكت من حرمة ، كم ايقظت من فتنة ، وكم من عين شرهة التهمت لحمك وتمتعت بجمالك ، وكم من نفس مجرمة تشوقت لوصلك !! .

اجمعى يا سيدتى هذه الآثام فى كل خروجك ونزهاتك طوال حياتك ، فستجدين وزرا ثقيلا تنوئين تحته ، ولاتستطيعين حمله يوم الحشر . انك تستصغرين كبير الاثم ، وهو ذنب آخر مع الذنب نفسه ، فان من يستصغر الذنب يكبر اثمه على قدر استصغاره له ، وان فى تصغير الذنب تصغيرا لأمر الله وفى تعظيم الذنب تعظيما لأمره سبحانه وتعالى ، وفى الحديث : **((المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فاطاره))** .

ان الحسنات انما يذهبن السيئات مع الندم والتوبة . اما مع الاصرار على المعصية ، والجراة والاستهتار بالسيئات فان السيئات عندئذ هى التى تذهب بالحسنات وتحرقها حرقا . قال تعالى : **((الا من تاب وآمن وعملا عملا صالحا ، فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما))** الفرقان : ٧٠ .

فكيف يهون على المسلمة العاقلة المتعلمة ان تحبط عملها وتخسر حسناتها ، وتضحى بسعادتها الأبدية ، من أجل شىء تافه ولذة وقتية . بل ليس هناك لذة . انما هى تعب مضن وضيعة للوقت والمال فى الفسوق والضلال .

فيا لهذه المتبرجة من ضالة غافلة ، تبيع الجنــة بثمن بخس وتشترى الجحيم بثمن غال . لأن المواظبة على هــذا التبرج والتجمل تتطلب مالا كثيرا وصبرا ووقتا طويلا . اكثر مما تتطلبه عبادة الله سبحانه . ولكن قاتل الله الهوى والغفلة فلقد تمكن منها الشيطان الذى حبب اليها الفجور والعصيان وكره اليها الطاعة والايمان . فكم ضيعت الصلاة من اجل قليل من الاصباغ على وجهها ، وتنسيق شعرها ، فلا تتوضأ لتحافظ على الزينة . ولا تحافظ على الصلاة ، بل ان صلاتها على كل حال حابطة ، لأنها لم تنهها عن هذا المنكر كما قال الله تعــالى : ((**ان الصــلاة تنهى عن الفحشاء والمنــكر**)) العنكبوت : ٤٥ . وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له**)) .

وهى تضيع كذلك صومها لأن الرسول يقول :

((**من لم يدع قول الزور والعمــل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**)) . وهل أعظم من التبرج زورا وضلالا واصرارا على العصيان ؟ الم تسمع هذه المتبرجة المتعلمة المتنورة ما يثبت أن العصيان يبطل الأعمال فى قوله تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم**)) محمد : ٣٢ . فكيف تجرؤ على العصيان فنبطل أعمالنا . ونعتقد حسناتنا ونحن نفهم معنى هذه الآية الكريمة . ثم نزعم بعد ذلك أننا تعلمنا وتثقفنا . وأننا آمنا بالقرآن ؟ وكيف نقرأ فى القرآن أمر مولانا وخالقنا ورازقنا : ((**وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبــدين زينتهن**)) . ثم نجسر على مخالفة أمــره ولا نخشى غضبــه . ونزعم أننا نعقل ونعرف مصلحتنا ونفعنا واننا على جانب عظيم من الحكمة والحصافة والتنور والتمدين .

حقا أن من العلم جهلا . وان من لم يستنر بنور القرآن يظل يتخبط فى ظلمات الضلال . ويرسف فى قيود الجهالة بالرغم من حصوله على أعلى الشهادات . وأعظم الدرجات العلمية أو الأدبية .

* * *

هل هناك أجهل ممن تصر على التبرج وهى تعلم أن ذلك يغضب الله ؟ وأن هذه المعصية منكر يبطل الصلاة لأنه تعالى يقول : ((**ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**)) كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ((**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له**)) ، هذا نص صريح على أن منكر التبرج يحبط أجر الصلاة ، فكيف ترضى مؤمنة تقية تتمنى رضا ربها ونعيم الجنة أن تفقد ثواب صلاتها بالاصرار على هذا المنكر فتخسر أنفس شيء ينقذها من غضب الله ، وتثبت باصرارها انها لا تخشاه ولا تبالى برضاه ، وهى تخسر كذلك ثواب صيامها اذ ليس من المعقول أن يتقبل الله تعالى منها الصيام ، وهى مصرة على هذا التبرج بل على هذا العرى والتهتك . والرســـول يقول : ((**رب صائم حظه من صيامه الجــوع والعطش**)) أى انها جاعت وعطشت وصبرت بلا ربح لثواب ولا حسنة . وهى تعتمد على أن حسناتها من صلاة وصيام وغيرهما ستكفر عن تبرجها وكل ذنوبها وان الله تعالى يقول : ((**ان الحسنات يذهبن السيئات**)) . وغفلت المسكينة الشقية عن أنها فقدت حسناتها بالاصرار على معصية التبرج لأن تبرجها مستمر فى كل يوم وكل ساعة وكل لحظة من حياتها ولذا فان هدمها مستمر لما تعمل من حسنات ، فهى تدخر السيئات وما أكثرها ، وتهدم بها الحسنات وما أقلها ، فتفقد بذلك رضى الله عنها وكرامتها عنده ونعيم الجنة ، فهل فوق

ذلك خسران وهلاك ، وهل فوق ذلك جهل وضلال ؟ وهل لذة التبرج التافهة الزائلة تعد شيئا بجانب لذة نعيم الجنة الدائمة ؟ ان المتبرجة قدمت الدنيا على الآخرة ، وقدمت رضا هواها على رضا خالقها ورازقها وقدمت لذة التبرج والتبذل على لذة الجنة ، حقا ان الجاهل عدو نفسه **(اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير)** فصلت : ٤٠ .

وما اعجب امر اولئك الذين يتشدقون بالمدنية ، يقولونها كلمة جوفاء لا يفقهون لها معنى فيزعمون ان التبرج هو ما تقتضيه مدنية العصر الحاضر ، وانه عنوان العلم والتحضر والتنور ، وان الخمار اصبح من مخلفات العصور الغابرة ، ولا يتفق مع حضارتنا ، وانه يحط من قدر المراة المتمدينة المثقفة ويصمها بالجهل والتأخر .

والحقيقة عكس ذلك فان السيدة المحتشمة المختمرة طاعة وحياء ، لا تقليدا ووراثة ، هى التى عرفت دينها وخافت مولاها ومعرفة الدين والخوف من الله هو اعظم علم ، واكبر تنور وتمدين .

والطائشة المتبرجة تدل على انها لم تعرف الحياء ، وانها جهلت دينها وربها ، أو انها عرفته واصرت على عصيان خالقها . والجهل بالدين والجراة على انتهاك حرماته ، هو اعظم جهل وتأخر واكبر بربرية وهمجية ، وابعد شىء من المدنية .

ان المدنية لتتبرأ من قوم مزقوا ثوب الحياء : فانظروا معى الى الانسان الاول فى حياته الوحشية الاولى ،

والى الشعوب الزنجية المتوحشة ، تروا ان أبرز ما تمتاز به هو العرى والاباحية فى العادات وجدل الشعر والتزين بالريش والعظام والقواقع والحلى البراقة الزاهيـــة ، وتغيير لون الشفاه والخدود والعيــون ، واطالة الاظافر ، والرقص العنيف . هذه هى مظاهر همجية الشعوب المتأخرة . وهذا هو ما تقهقرت اليه الشعوب الغربية بخطى واسعة سريعة . وهى تجرف معها الشعوب الشرقية المقلدة الغافلة الساذجة ، التى فقدت شخصيتها حين أعرضت عن تعلم الدين الاسلامى الصحيح من موارده الصافية ، فاتبعتها فى تأخرها لا فى تقدمها وفى همجيتهـــا لا فى مدنيتها ، وسارعت النساء المسلمات الى تقليد المرأة الفاجرة اللادينية ، وظنن أن هـــذا التهتك هو ما يستلزمه نظام القرن العشرين ورقيه . وكأن الله تعالى لا يدرى من شئون الحضارات ما يدرين ، وكأن الناس أعرف بما يصلحهم من رب العالمين . فما أعظم شقاءكن يا من تعبدن (المودة) وتكفرن بكتاب رب الأرض والسموات .

ماذا جرى لعقولكن حتى تفجرن مع الفاجرات وتقلدنهن تقليدا أعمى صاغرات ؟ . كيف تحترمن تقاليـــد الفسقة الفجار ، وتستهترن بشرائع المنتقم الجبار ؟ فاذا أمرت المودة قلتن سمعنا واطعنا ولو كان فى ذلك هلاككن وخزيكن فى الدنيا والآخرة . فما كان لامرأة اذا أمرت المودة أن تكون لها الخيرة من امرها . واذا أمر الله تعالى ، جادلتن وعارضتن وقلتن سمعنا وعصينا ، لن نستطيع مخالفة عصرنا ، ولا نبالى بمخالفة ربنا . لا نطيق الخمار فى هـــذا الحر ، ولا نطيق أن نكون عرضة لسخرية الناس . فهل تطقن ــ ان تكن عرضة لعذاب رب الناس **« قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون »** التوبة : ٨١ .

فيا أيتها الذاهلة المقلدة التى تقلد غيرها تقليدا أعمى ، واهمة أن ما يعلمه كل الناس ، لابد ان يكون حقا ، لانه رأى الأغلبية الغالبة . لقد جرفك تيار مدنيـــة عصرك الكاذبة ، واغرقك سيل الفسق والفجور لأنك اسيرة الهوى ، ضعيفة الايمان ، جاهلة بدينك ، هاجرة للقرآن . فلو كنت راسخة فى العلم بدينك وتشريعه واوامره لما استحسنت ما ترين عليه النساء . ولما جرفك تيار الاباحية . ولقبح فى نظرك ما تقلدين من غير تفكير فان السيل لا يجرف الا الغثـــاء والـــزبد ، اما القوى الراسخ ، فانه لا يتزعزع من مكانه ولا يستطيع السيل أن يزحزحه مهما كان قويا جارفا .

أيتها المسلمة الغافلة ! نساء عصرك فجرن فلم تقلدينهن ؟ نساء عصرك يهمن فى ضلال فلماذا ترافقينهن ؟ . الا تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**من أحب قوما حشر معهم**)) . وقال أيضا : ((**من تشبه بقوم فهو منهم**)) . وقال : ((**لا يكن أحدكم امعة . يقول : انا مع الناس ان أحسن الناس أحسنت . وان أساءوا أسأت . ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن النـــاس ان تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم**)) . وهو صلى الله عليه وسلم الذى قال أيضا : ((**لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين . ولا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**)) .

الاتبـــاع الأعمى :

واعجب لزعم المتبرجة أنها تتبرج لتكون كبقية الناس . وحتى لا تمتاز عن غيرها بالاحتشام الذى يستلفت اليها الانظار ويحوطها بالتهكم ونظرات السخرية والاحتقار .

فواعجبا ! أتخجلين من استلفات الأنظار الى تقواك وحيائك ، ولا تخجلين من استلفات الانظار الى تبجحك واستهتارك ؟ فأيهما أولى بالخجل . أن تظهرى بالأدب والرزانة ، أم تظهرى بالوقاحة والرعونة ؟ كيف لا تخجلين من أن تجهرى بالفسق والعصيان وتخجلين من أن تجهرى بالتقوى والايمان ؟ بل كيف لا تفخرين بامتيازك عن غيرك بالاحتشام . وتشرفك بآداب وشرائع الاسلام ؟ فيا للعجب !

اتخجلين مما يشرف ويبجل ، ولا تخجلين — بل تفخرين — بما يحقر ويسفل ؟ ! .

أتفسقين مع من فسق لتكونى مثلهم ، فلا يسخرون منك ؟. أتسرقين مع من سرق لئلا يسخر منك اللصوص ؟ أتشربين الخمر لئلا يسخر منك المدمنون ؟ أتظلمين لئلا يسخر منك الظالمون ؟ أتستبدلين الذى هو شر بالذى هو خير خوفا من نظرة تهكم من الفسقة العصاة ، وتقدمين رضاهم على رضا الله ؟ ! .

أن هؤلاء الناس ينظرون اليك ساخرين مدهوشين ، لأنهم لم يروا الاحتشام من أمد بعيد ، ونسوا أوامر الاسلام وآدابه من زمن مديد ، فذكريهم وعرفيهم يا سيدتى ما لم يعرفوه وكونى قدوة حسنة للنساء الغافلات ، وسراجا منيرا للعيون النائمة والقلوب المظلمة ، وتيهى فخرا بأدبك واحتشامك ، وازدهى بنور تقاك واسلامك . فانك على قمة الكرامة وفى أوج الفخار ، وهم فى الدرك الأسفل من العار . أنت تتبعين سبيل المؤمنين الابرار ، وهم يتبعون سبيل العصاة الفجار ، فانظرى اليهم من عليائك بعين الاحتقار ،

ولا تبالى بنظرات السخرية ، وقولى كما قال نوح عليه السلام **((ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ، ويحل عليه عذاب مقيم))** هود : ٣٨ ، ٣٩ .

ان الاحتشام لا يمنع الاناقة ، ولا يدعو الى التهكم ، بل قد يكون التبرج ادعى الى السخرية ، وبعيدا عن الاناقة ، وقد يكون الاحتشام فى اناقة ،لا يمكن للتبرج ان يجاريها .

ومما يدهش له ان تزدرى المتبرجة المسلمة المحتشمة ، كأن قيمة المراة بأصباغها وطول مخالبها ، بكمال عقلها وتقواها وادبها . فتسخر الطائشة المقلدة لنساء باريس المتهتكات ، من التقية المتبعة لنساء النبى المؤمنات .

فهل بلغ حد الكفر والجهل فى عصرنا ان يضحك الباطل من الحق والجنون من العقل ، والفسق من التقوى والتهتك من التعفف ؟ ! .

مهلا ايتها الساخرات الضاحكات ، فان من تضحكن منهن اليوم سيضحكن منكن غدا ، والفوز للضاحك الاخير : **((ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . واذا مروا بهم يتغامزون . واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين . واذ راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون . وما ارسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الارائك ينظرون . هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟))** المطففون : ٢٩ — ٣٦ .

وقد يظن الآباء والامهات ان تبرج بناتهم واستعراض

جمالهن يعجل بزواجهن ، فيعرضون لذلك بناتهم كما يعرض التاجر سلعته للبيـــع ، ولم يفطن هؤلاء الآباء والأمهـــات الى أن الذى يطلب الزواج بابنتهم لجمالها ودلالها ، ولايستنكر تجردها من الحياء والاحتشام ، وخروجها على آداب الاسلام ، هو رجل فاسق شهواني يبحث عن جسم جميل خليع ليتمتع ، ولا يعبأ ولا يبحث عن قلب سليم تقى ليسعد ، فلن يكون هذا الرجل زوجا صالحا كريما .

أما الرجـــل الذى يطلب الزواج من ابنتهم لتقـــواها واحتشامها ، ويعجبه حياؤها وتدينها ، فهو الرجل المسلم المستقيم وهو الزوج الصالح الكريم ، ولا سعادة حقـــــة بلا تقوى ولا دين فتقوى الله أساس الاستقامة والاستقامة أساس السعادة ، ومن يخش الله فانه لا يخشى غـــيره ، فزوجوا ابنتكم من التقى ، فاذا أحبها أكرمها ، واذا كرهها لم يظلمها . ولاتزوجها من حيوان شهوانى ، اذا فرغت منها حاجته ، وأكلها لحما طرحها ونبذها عظما ، دون حيـــاء ولا خوف من الله ، لأنه انما كان ينشد المتعة البهيمية ولا يفهم معنى السعادة الانسانية .

❋ ❋ ❋

وانت أيتها السيدة التى تزعم أنها تتبرج أرضاء لزوجها وتخرج متزينة طاعة لأمره ، أتظنين أن هـــذا العذر ينفع عند الله بعـــد ما أبطل عذرك بقول رسوله صلى الله عليه وسلم : ((**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**)) و ((**لا طاعة الا فى معروف**)) ؟ قال الله تعالى : ((**يا ايها الذين آمنوا ، اطيعوا الله واطيعوا الرسول ، واولى الأمر منكم**)) النساء : ٥٩ . فهل هذا معناه أن طاعة أولى الأمر تجب قبل طاعة الله

ورسوله ؟ كيف تغضبين ربك الخالق لترضى زوجك الفاسق فأيهما أولى بالطاعة والخشية ؟ ! أهذا الزوج الفاسق الذى يأمرك بالفسق والذى لا يستحى ولا يغار سينجيك وينجى نفسه من عذاب النار ؟ تبررين فسوقك بزعم انك تخافين أن يهجرك الى غيرك ، ويطلقك فتحرمى أولادك وسعادتك . فهل هذه السعادة البيتية الوقتية أهم وأعظم من سعادة الجنة الأزلية ؟ . فما هى هذه السعادة الموهومة المهددة ؟؟ بل لو كنت مؤمنة عاقلة لعلمت انه من المحال أن تكون سعادة مع زوج فاسق فقد صفات الرجولة ، وغفل عن أمر ربه ، بل جاهر بالخروج على الدين والأخلاق .

نعم . . . لو كنت صادقة الايمان لما شعرت مع مثل هذا الزوج بسعادة تخافين ضياعها ، بل لشعرت بشقوة تتمنين الخلاص منها ، ولا تطيقين احتمالها . لأن من المحال أن تنسجم الروح الطاهرة مع الروح الفاجرة ، وان يدب المؤمن الفاسق المنافق ويوده ، ويسعد بمعاشرته ، كما قال الله تعالى : ((**لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم ، او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه . اولئك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحون**)) المجادلة : ٢٢ .

* * *

حرم التبرج على الشابة والعجوز والجميلة والدميمة :

وكم غر الشيطان المتزوجات ، زاعما لهن أنهم لا يزلن فى ميعة الشباب وزهرة الصبا ، ولم يحن بعد وقت **الاحتشام**

كأن الخمار جعل لستر الشيب والشيخوخة ، لا لستر الجمال والزينة . مع أن الله تعالى يأمر بعكس ذلك فى قوله جل جلاله : **((والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا ، فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ، غير متبرجات بزينة . وأن يستعففن خير لهن ، والله سميع عليم))** النور : ٦٠ . أى اذا وصلت المرأة الى سن الشيخوخة بحيث قعدت عن الزوجية . فلا بأس عليها أن تكشف رأسها غير متبرجة بزينة لأنها لا تخلب القلوب ولا تفتن العيون بشعرها الأشيب ووجهها المجعد . فلا ضرر من ظهورها كذلك ، ولكن كلما كانت المرأة صغيرة وجميلة كلما كانت أدعى للفتنة فيجب عليها ستر هذا الجمال والشباب عن أعين الشرهين الفاسقين ، وعن أعين المؤمنين الورعين ، الذين يتألمون من سرقة أبصارهم لجمال ليس لهم حلالا ، ويخشون الله ويعلمون انه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها .

ومن السيدات من تزعم أنها كبيرة فى السن ، فلن ينظر اليها رجل ، وفى الوقت نفسه تتصابى وتتجمل وتتزين ، وتحاول ما استطاعت أن تصلح ما افسده الدهر . مع أن الله تعالى نهى القواعد عن التبرج بزينة . وذلك لحكمة عظيمة منه جل شأنه . فان هناك المرأة التى تحتفظ ببعض جمالها وببعض نضارتها ورشاقتها حتى تتجاوز الخمسين بل حتى تتجاوز الستين من سنيها فاذا هى تجملت ورممت عيوب وجهها وبدنها وصبغت شعرها وحاولت أن تبدو رشيقة أنيقة ظنها من رآها أصغر من حقيقة سنها بكثير .

وهكذا لم تعتبر من القواعد اللاتى لا تسترعين الأنظار بشعرهن الأشيب ووجوههن المجعدة . بل اصبحت متعة لبعض العيون وفتنة لبعض اترابها من الرجال وهذا ما يبغضه

الحكيم العليم وينهى عنـــه بقوله : ((**غير متبرجات بزينة**))
كما أنه تعـــالى يبغض نية المرأة التى تتمنى أن يعجب بها من يراها وتستمتع بأن تحدق العيون فى جمال بدنها ومحياها ، لأن ذلك نية أثيمة ينهى عنها الاسلام . وعمل ذميم بعيـــد عن الحياء والاحتشام . قد يغرى باقتراف أكبر الآثام .

ومن السيدات من تزعم أنها دميمة لا تسترعى أنظار الرجال وهى تقول ما تعتقد ، وتعمـــــل ما ينادى بكذبها اذ انها تكثر من التجمل والتزين لتخفى هذه الدمامة فاذا كانت تعتقد حقيقة أنها لن ينظر اليها رجل فلماذا تحاول اذن ستر هذه الدمامة بالاصباغ والزينـــة لتستلفت اليها الانظـــار ؟ ولماذا لا تسترها بالاختمار والتحجب ؟ .

مهلا يا سيدتى ! فاذواق الرجال وميولهم تختلف وتتفاوت فمن يفضل النحيفة غير من يفضل البدينة ، ومن يحب الشقراء غير من يحب السمراء . فتاكدى من وجود من يستحسنك من الرجال ، وان (كل فولة ولها كيال) وربما يوجد من يرى دمامتك جمالا ، بل ويوجد من الرجال الشره الذى يشتهى كل امراة مهما كانت دميمة ، فالنفس الخبيثـــة الجشعـــة تستسيغ كل طعام ، والنفس المحرومة الجائعة يعجبها اى غذاء اذن فلا يجوز لأى امرأة دميمة أو كبيرة أن تتبرج ، مهما كان سنها او شكلها .

كم من حكمة عظيمة فى الاحتشام والاختمار والتحجب وعدم الاختلاط لا يفطن اليهـــا العاقل ؟ فبذلك لا تستر الجمـــال فحسب بل تستر الدمامة ، فلا تخجـــل الدميمة من قبحها ولا تزدهى الجميلة بحسنها ، ولا يرى زوج الدميمة محاسن غيرها ، فيتحسر على حظه ويحسد غيره . بل هناك

من الرجال (كما قلنا) من يصبو الى من هى أدنى من زوجه جمالا ، وكلما رأى نوعا من الجمال تمناه ، وكلما رأى حسنا لم يتملكه اشتهاه ، وكره جمال زوجه ، وأصبح لا يرى منه ما كان يراه . فيسعى ما استطاع لاشباع شهواته وارضــاء هــواه ولا يبالى بهتك عرض ولا بشقاء أسرة ولا بغضب الله .

فتبرج المرأة ضرر جسيم ، وخطر عظيم ، يخرب الديار ويجلب الخزى والعار . فكم دعا الى العداوة والبغضاء بين الأخت وأختها والأخ وأخيه ، وكم فصل الزوج من زوجه ، وحرمة بناته وبنيه ، وكم خيب الآمال ، وحسر قلوب النساء والرجال ، ودعا الى الحرام وترك الحلال .

فاخفى جمالك الفتاك أيتها المرأة ولا تؤذى به النفوس وتغويها ، ولا تضيعى به الآداب والاخلاق وتفسديها ، والزمى حدود ربك ولا تتعديها ، واسترى زينتك كما أمرك ولا تبديها .

فما أسعد المرأة التى تشعر بأن جمالها برىء لم يقترف اثما ولم يؤذ أحدا ، ولم يسبب حسرة ، ولم يثر شــهوة ، ولم تلتهم لحمها الانظار ، ولم تلك عرضها الافواه .

فجمالك اذا صنته كان سعادة ونعمــة ، واذا ابتذلته حولته الى شقوة ونقمة .

فكم من جميــلة أغواها شــيطان جمالها بالانغماس فى التبرج والتزين ، والافراط فى الخروج والتجول ، تهيم على وجهها مستعرضة لزينتها فى كل واد ، وتجول مستلفتة اليها الأنظار فى كل ناد . فذهب شبابها ، وخسرت مستقبلها فى الدارين ، ورغب الرجال عنها ونفروا منهــا مستنكرين

ما كان من جمالها كافة للعالمين . ولم يتزوجها واحد ممن كان يحوم حولها متعلقا ، وكان ينظر الى هذا الجمال العارى معجبا محملقا ، بل وكان يتزلف اليها ويجزل لها الهدايا حتى ظنته عاشقا ، وهى ربما لم تفرط فى عرضها ، ولكنها علمت ما يوجب الشك وكانت مستهترة . فخسرت بجهلها وطيشها الدنيا والآخرة .

فالويل لك ايتها المتبرجة من شيطان الجمال ، وبئس الجمال جمال دعاك الى الخلاعة والاختيال ، ورماك فى بؤرة الفسق والضلال ، فجرت خلفك الذئاب والثعالب ، وهرب منك الرجال ، بئس الجمال جمال أحاطك بالاحتقار ووصمك بما يهوى بك الى حضيض الذل والعار .

فبالله عليك أيتها المتبرجة ، سلى نفسك لو كنت مسلمة اذا رآك الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الشكل بين الرجال ، ماذا كان يقول وماذا كان يفعل بك . انك تعلمين ان الله يراك وانه معك أينما حللت ، ففكرى هل هو راض عنك ؟! وتصورى كيف يكون انتقامه منك ؟ فكيف تخدعين نفسك أيتها القاسية على نفسك اذ تتجاهلين ، وأنت على يقين من أن الله غاضب عليك ، والرسول برىء منك ، والاسلام غريب عنك ، ولن تعتبرى من المسلمات يوم القيامة ، ولن تدخلى الجنة ، بل ولن تشمى ريحها كما قال صلى الله عليه وسلم : ((**صنفان من امتى من اهل النار : قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس . ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة**)) .

لقد اتبعت خطوات الشيطان ، وخالفت اوامر القرآن

وتعديت حدود الرحمن ، واجترأت على الفسق والعصيان ((**ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ، يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين**)) النساء : ١٤ . فاحذرى أيتها العاصية غضب الله فقد أهمك الهوى ، فلم ترى التبرج ضـلالا . وزين لك الشيطان سـوء عملك فرأيت الحـرام حـلالا ((**أفمن زين له سـوء عمله فرآه حسنا ؟ فان الله يضـل من يشاء ويهدى من يشاء**)) فاطر : ٨ .

ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعى . فيا أيتها الغـافلة انتبهى واسـمعى ، وانصتى لآيات الله بقلبك واخشعى، واقنتى لربك واسجدى واركعى ، ولا تتبرجى تبرج الجاهلية الأولى . اقلعى ، ولا تتبعى من يسعى لحتفه . ارجعى وبادرى الى التوبة قبـل فوات الأوان . اسرعى اسرعى . نعم اسرعى قبل أن يجىء وقت لا تنفع فيه توبة من التبرج . اذ لا توبة من هذه المعصية الا من قريب ، لا فى سن لا جناح على النساء فيها أن يضعن ثيابهن ، فلا يكون ترك المعصية الا عن عجز لا عن توبة صادقة ، فلا توبة من التبرج الا لمن تستطيع التبرج ، ولا قيمة لتوبة الا عنـد المقدرة ، أما اذا فات الشباب فلا توبة منه ولا مغفرة .

كلمة الى الرجال :

ان واجب الحق والنصح يقتضينى ان اوجه كلمة الى الرجال ، كما وجهت كلمتى السابقة الى النساء . اذ ليس النسـاء وحدهن مسئولات عما وصلن اليـه من انهيار فى الأخلاق بهذا التبرج والتبذل . بل لقد كان الأحق والأولى أن يوجه الكلام كله الى الرجال لأن السبب فى انتشار داء التبرج واستفحال شره انما يرجع الى اهمـال الرجل فى

القيام بواجبه نحو المرأة ، وهذا الاهمال ناشيء عن جهله او تجاهله أنه مسئول عنها نفسا وعقلا وجسما . وأنه قيم عليها مكلف برعايتها أبا كان أو زوجا او اخا ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((**كلكم راع ، وككلم مسئول عن رعيته**)) . وانه مأمور بالقيام على تهذيبها والعناية بخلقها ودينها ودنياها وآخرتها ، كما قال تعالى : ((**الرجال قوامون على النساء**)) النساء : ٣٤ . وانه رقيب على افعالها وأحوالها وتقواها وأدبها ، كما أمره ربه بقوله : ((**واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن**)) النساء : ٣٤ .

فما افسد المرأة الا فساد الرجل واستهتاره بدينه وواجب الرجولة والأبوة والزوجية . فكل امرأة فاسدة انما دفعها الى الفساد وفتح لها بابه أب أو زوج فاسد لم يعرف الله ربه فعمى عن الصراط السوى وجاهر بالخروج عن الدين والأخلاق أو اب او زوج ضعيف الارادة مستضعف ، فقد نخوة الرجال وغيرتهم ، ضعيف الايمان متغافل عن أوامر الله ، مستهين بمعصيته .

فكم من ابنـــة منكودة شقية اضلهـــا ابوها بضلاله ، وغذاها بفساده ! فشبت لا تعرف الحيـــاء ولا الدين ، اذ نشأت فى أحضان الرذيلة ولم تعاشر ولم تخالط الا الشيطان . ثم قذف بها ذلك الأب الضــــال الى زوج فاجر مثله من الفاسدين المفسدين فراحت فريسة فساد الأب والزوج ، وهامت مثلهما فى غياهب الضلال ، وساقاها معهما الى الجحيم .

وكم من ابنة بائسة نكبت بأب ضعيف الارادة ، استعبده

هواه يزعم الايمان بالله وكتابه ويصلى ويصوم ويقرأ القرآن ولكنه لا يعرف معروفا ولا يستنكر منكرا ، اذ يعشق التبرج ، ويمقت الاحتشام ، ويسخر من الخمار ، ويعتبره أصفادا ثقيلة وقيودا مضجرة بغيضة ، تحرم ابنته العزيزة حريتها ومتعتها بجمالها الفتان وشبابها الغض فيغريها بالتبرج ويدفعها الى العصيان بلا رحمة ولا يبالى بغضب الله وهو يكرر قراءة أمره تعالى فى القرآن : ((**وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن**)) وذلك لأنه أسير الهوى ، مفتون بحب ابنته . أعمى حبها قلبه ، وفتن وخلب لبه ، فأضلها وعصى ربه ، فما أعجب وأحقر حبه ، ((**انما أموالكم وأولادكم فتنة**)) .

فأعجب لهذا الأب الحنون الذى يشفق على ابنته من الاختمار ، ولا يشفق عليها من غضب المنتقم الجبار . واعجب لهذا الأب المغرور المفتون بجمال ابنته ، الذى ينظر اليها متغزلا مبهورا ، ويقدمها لكل العيون مباهيا فخورا ، ولا يطيق ان يحبس حريتها فى سجن الاحتشام ، وأن يدفن جمالها فى قبر الخمار ، كما يدعى ، فكأنه بذلك يعترض على الله ويزعم انه ظلمها وينتقد أوامر الحكيم الخبير ، كانه أخطأ سبحانه وأساء التصرف فحكم على المرأة بالعذاب والحرمان . فلو كان هذا المخلوق حقا من المؤمنين لما عارض مولاه وخالقه اذا هو أمر أمرا : ((**انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا . وأولئك هم المفلحون**)) النور : ٥١ . ولو كان حقا من المؤمنين لما تجاهل وتغافل عن امر ربه ، ولا نتفع بالذكرى كما قال تعالى : ((**وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين**)) الذاريات : ٥٥ .

فقل لى بربك أيها الأب الذى يزعم الايمان بالقرآن ،

هل من التقوى والايمان ان تفهم أمر الله بالاختمار والاحتشام، ثم لا تغضب لتبرج ابنتك ولا تنهاها عن العصيان ؟ وهل من الحب والحنان الا تبالى بتعرضها لغضب الله وعقابه وتحاول انقاذها من مخالب الشيطان ؟ الم تسمع قول الله تعالى : ((**يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة**)) التحريم : ٦ . وانك ايها الأب القاسى أهملت تربية ابنتك التربية الدينية . ولم تعبــأ بسعادتها الأبدية . فى حين انك عنيت أشــد العناية بمتعتها الدنيوية وسعيت الى تعليمها اللغات الأجنبية والعــادات والتقاليد الغربية ، وتركتها ترتع فى المدارس على غير هــدى تتعلم ما لا ينفعها ، وتعتنق بعصبية مذاهب دعاة السفور والفجور ، وتتشبع بآراء محررى المرأة ، بل مضليها ومقيديها بأغلال الجهل والعصيان . لقد أضللتها فى سبيل مظلمة ملتوية من فلســفات عصرية تناهض الأديان ، وتقوم حجر عثرة فى سبيل طاعة الله وتنفيذ أوامر القرآن . فما أشقاها بك وأشقاك بها يوم تقفان بين يدى الملك الديان ! .

وكم من زوج وأب يزعم انه مسلم وانه رجل ، يرافق زوجه وبناته الى النوادى والملاهى وغيرها . وهن كاسيات عاريات مائلات مميلات ، يمشين مشية خليعة تهز الصدور والأرداف ، وترســل الشــعور تداعب الأعنــاق والاكتاف ولا يحمر خجلا من أن يتهادى بين الغيد الحسان من حرمه ، بل يفرح بأن تزوج أو أنجب جمالا جذابا بهر الأبصار ، ولا يبالى بعين ترمقهــا ، وقدم تتبعها ، ونظرة تفحصها ، وأذن قبيحة تسمعها ، فيا للداهية الدهياء ، ماذا فقد الرجال من رجولتهم حتى أصبحوا أشباه الرجــال ولا رجــال ؟ . فان الرجولة شخصية وروح وغيرة ونخوة ، قبل أن تكون

خشونة صوت او شاربا ولحية . أهذه هى الرجولة ـــ أيها المدعى الرجولة ـــ أن تسمح للعيون الدنيئة الطفيلية أن تجسر فتنظر الى جسم نسائك وتنعم بمحاسنه ومفاتنه ، وكأن هذا الحسن وليمة قد قمت بالدعوة اليها ، أو كأن هذا الجمال مشاع بينك وبين غيرك من الرجال ، حلال مشترك لهم قبل أن يكون حلالا لك .

انك تغضب يا هذا أشد الغضب ممن يحاول ان يطلع على دخائلك وخصائصــــك ، وتخجــل ممن يكشف سرا من أسرارك ، فهل هناك أمر أخص بك ، وسر اقدس واجدر بالصون من جسم زوجك وابنتك !!

فويل ثم ويل لأولئك الذين لا يعرفون كرامتهم ولا يحفظون رعيتهم ، ولا يحسنون القيـــام على ما استرعاهم الله من الزوجات ، والبنات كما امرهم .

أيها المسلمون ، ماذا جـــرى لعقولكم حتى رضيتم ان تفجر أمامكم نساؤكم وأنتم تنظرون . « **فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور** » الحج : ٤٦ .

فان أعراضكم كأرواحكم . وقد فرطتم فيهـــا كثيرا ، افلا تعقلون ؟ ! .

أيها المسلمون ، ما بلغ النساء هذا الحد من الفساد الا باغرائكم ، وما الله بغافل عما تعملون . ولاكم أمر نسائكم لتصلحوا الولاية ، فأسأتم باستهتاركم . أفلا تتقون ؟؟ .

أيها المسلمون ، لقد أهملتم الرعاية واغفلتم الحـــذر ،

وشجعتم الغواية وركبتم الخطر ، وما تهلكون الا أنفسكم وما تشعرون ، انكم تتمردون على ربكم ، ولا تبالون بغضبه وعقابه وتلقون بأيديكم الى التهلكة فهل أنتم منتهون ؟ .

« ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » الأعراف : ٢٠١ .

فاتقوا الله أيها المسلمون ولا تفرطوا فى القيام على ما استرعاكم من النساء وولاكم أمرهن بقوله : **« الرجال قوامون على النساء »** فقوموا بأقدس واجب كلفكم به . وصونوا أنفس أمانة أمركم بالمحافظة عليها ورعايتها وقد حذركم رسول الله ونبهكم الى مسئوليتكم عنها بقوله : **« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته »** فكل أب مسئول عن ابنته ، وكل زوج مسئول عن زوجته ، كما أن كل رجل مسئول عن نسائه وأولاده وكل مسلم مسئول عما كلفه الله اياه ووضعه فى يده وتحت نفوذه وملكه قيادة زمامة . فمن أرخى الزمام كان مسئولا عن نتيجة اهماله ، ولا ينجو مستهتر من عواقب استهتاره ، ولا مفرط مقصر من العقاب على تقصيره ، ولا مستهين بأمر الله مستخف بغضبه من انتقامه وقصاصه فى الدنيا والآخرة . فتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ، واذكروا دائما هذه الآية الكريمة ولا تتغافلوا عنها وتتجاهلوا : **« وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن ـ الا ما ظهر منها ـ وليضربن بخمرهن على جيوبهن . ولا يبدين زينتهن . الا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن، أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن ، أو اخوانهن ، أو بنى اخوانهن ، أو بني اخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت ايمانهن ،**

او التابعين غير اولى الاربة من الرجال ، او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النســاء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون)) النور : ٣١ .

واذكروا دائما هذا الوعيد الرهيب فى قوله تعالى :

((ومن أظــلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنهــا . انا من المجرمين منتقمون)) سورة السجدة : آية ٢٢ .

* * *

((تم والحمد لله))

محتويات الكتاب

كتب للمؤلفــة

١ ـ نعمة القرآن	الطبعة الثانية
٢ ـ من تربية القــرآن	الطبعة الثانية
٣ ـ معجزة القرآن	الطبعة الأولى
٤ ـ شعاع من القرآن	الطبعة الأولى
٥ ـ رأيت وسمعت	الطبعة الأولى
٦ ـ بديع صنع الله فى البر والبحر	تحت الطبع
٧ ـ الجــــزاء	الطبعة الأولى
٨ ـ التبرج	الطبعة التاسعة عشرة
٩ ـ الجهــاد فى سبيل الله	الطبعة الأولى
١٠ ـ دموع .. (قصة هادفة)	الطبعة الأولى

دار العلوم للطباعة
القاهرة . ٨ شارع حسين حجازي (القصر العيني)
ت . ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب
١٥١٢ ١٩٧٥

دار الاعتصام

١٥ قرشا